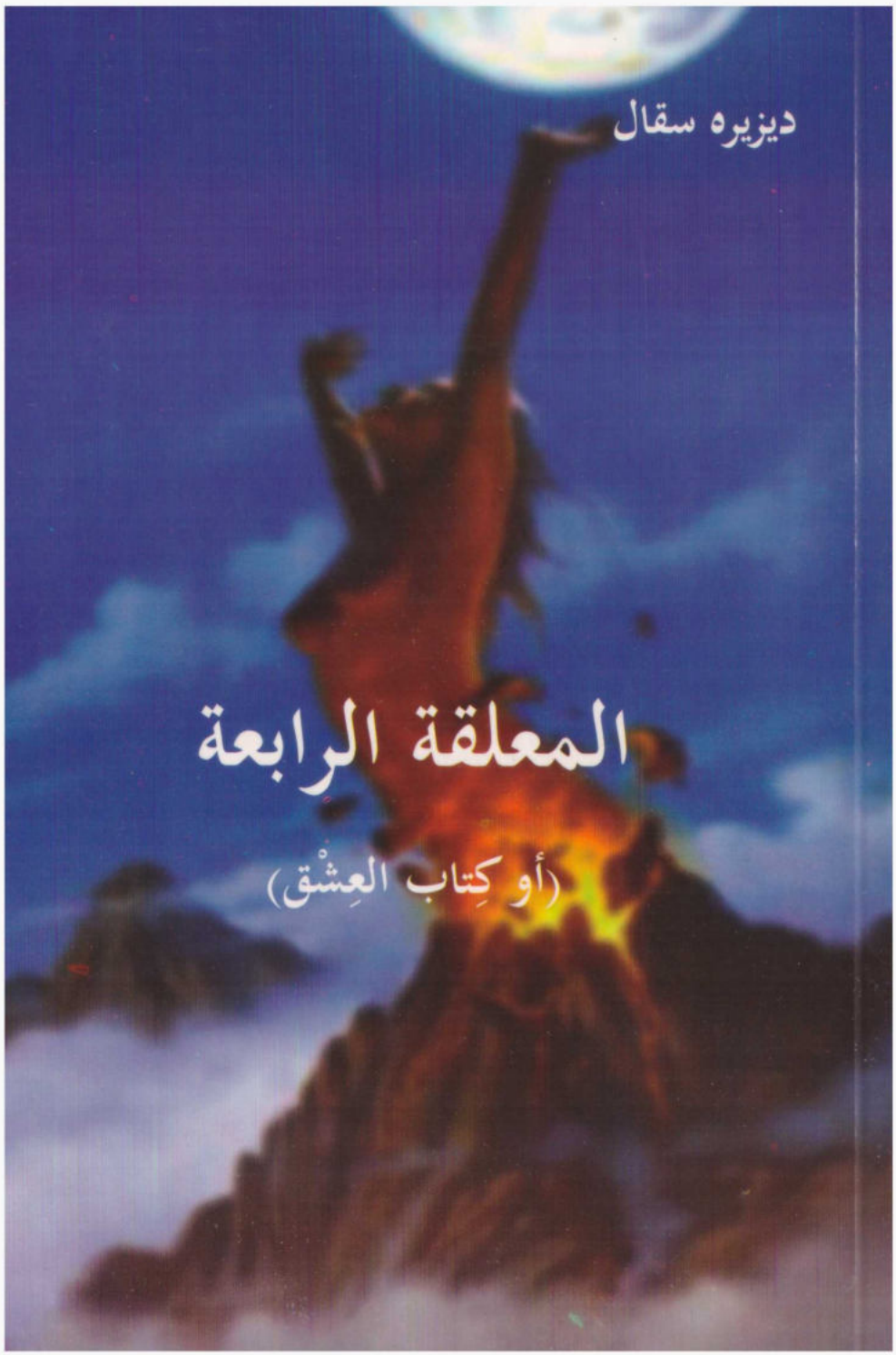
ديزيره سقال
المعلقة الرابعة
(أو كِتاب العِشْق)

ديزيره سقال

المعلقة الرابعة

(أو كِتاب العِشْق)

مقدمة

كانَتِ المعَلَّقاتُ عندَ العربِ، في العَصرِ الجاهِليّ، مِنْ أنْفَسِ القصائدِ التي كتَبَها الشعراء. وَقِيلَ إنّها كُتِبَتْ بماءِ الذَهَبِ وعُلِّقَت على جدرانِ الكَعْبَة. ولكنَّ هذا الرأيَ فيهِ مِنَ الخَطَإِ ما يجعَلُنا نَشُكُّ كثيرًا في صِحّتِه، لأنَّ العربَ الجاهليّين كانوا، بمعظمِهم، أُمّيّين، وأكثرُ الشعراءِ أيضًا، فَلِمَنْ يَكتبون؟ ولمنْ يُعَلِّقون على جدرانِ الكعبة ليُقْرَأَ؟ من هنا نَميل إلى الرأيِ الذي يقول إنَّ المعلّقةَ سُمِّيَتْ كذلك لأنّها من الأَعْلاق، أيْ مِنَ الأَشياءِ النَفيسَةِ، فتكون تلكَ القصائدُ عيونَ الشعرِ العربيِّ في ذلكَ العصر.

والمعلقةُ قصيدةٌ مُسْتَمَدّةٌ مِنْ حياةِ صاحبها، وكثيرًا ما تكونُ من مراحلَ عديدةٍ عاناها وَمَرَّ بها. فهيَ مرتبطةٌ بشكلٍ وَثيقٍ بأحداثِ حياته. وَهي، بذلك، جزءٌ من وِجْدانِه، وقطعةٌ من تُراثِه تُمَثِّلُ أَغْنى ما عندَه، وأَثْمَنَ ما وضعَهُ مِنْ شِعْر. وهي عبارةٌ عَنْ قصيدةٍ طويلةٍ، لأنَّ أطولَ المعلقاتِ تَبْلُغُ مئةً وثلاثةَ أبياتٍ (وهما معلّقتان: أولاهما لِعَمْرو بن كُلثوم، والثانية لطرفةَ)، وأقصرها من خمسةٍ وأربعين بيتًا (لعبيد بن الأبرص)، ونقولُ إنّها طويلة جدًّا قِياسًا على القصائدِ الجاهليّةِ التي لم تصلْ بمعظمها إلى هذا القدرِ من الأبيات.

لهذا السبب اخترتُ المعلقاتِ عناوينَ لدواويني الخاصّةِ الأربعةِ حتّى الآنَ، تناولْتُ فيها أحداثًا كبيرةَ القيمةِ مِنْ حَيَاتي، وتأمُّلاتٍ في جوهرِ الوجودِ والحياةِ والإبداعِ والكتابةِ، مرُكِّزًا على فكرةِ أنَّ الشعرَ أقوى من الزَوال، ويجعلُ مَنْ يَكتبُهُ يُسَيطرُ على الحياةِ به، ويَتَحدّى الموتَ، لأنَّ الفنّانَ الأصيلَ عمومًا، والشاعرَ الأصيلَ خصوصًا، يَخْلدُ من خلالِ إبداعاتِه، فيبقى حيًّا، في حينِ أنَّ الآخرين محكومون بالزوال.

إنّ القوّةَ الكامنةَ في الشعرِ لا يمكن أن يُعطاها إلاّ مَنْ يتورّطُ فيه، ويجعلُه جوهرَ حياةٍ. ولسْتُ هنا أتكلّمُ على النظْمِ الذي يعمَلُ صاحبُه على تَركيبِ

أبياتٍ مُزخرَفَةٍ يُظْهِرُ بها مهارتَه، أوْ قوّتَه في الزخرفة، بل أُريدُ هنا ما كان شِعْرًا حقًّا، أصيلاً، يُبدِع فيه الشاعرُ وجودًا جديدًا، يكونُ في أكثرِ الأحيانِ أقوى من وجودِهِ العاديِّ الهشِّ. فالشاعرُ ليسَ إنسانًا عاديًّا، بل مُبدِعٌ، يُزَامِلُ اللهَ في عمليّةِ الخَلْقِ، ويتحوّلُ مِنْ خلالِ هذا إلى خالدٍ، يُضيءُ وجودَ الآخرين بالأملِ والألَقِ والجمالِ والابتكارِ. فالشعرُ الحقُّ، مهما كان موضوعُه، رؤيا تَسْتَشْرِفُ، ونَبْضٌ جديدٌ تحتَ قِشْرَةِ العالمِ البَليدِ، يَكْسِرُ المنطقَ ويتحدّاه، ويَكونُ هو الردَّ الأقوى على نَثْرِيَّةِ العالَمِ، وجليدِ العَقْل. الفنّانُ، والشاعرُ خصوصًا، يملكُ قوّةً أكبرَ بكثيرٍ من قوّةِ المَناطِقَة، لأنّهُ يَعْمَلُ مِنْ

خِلالِ الحَدْسِ، والحَدْسُ مسألةٌ ترتبطُ بالفَوْق، بالوَحْي، يَسْتَشْرِفُ الحدَثَ، ويستقرئُ الآتيَ، مِنْ خلالِ الداخلِ الذي ينبضُ بالحياة. وهو شخصٌ لا يَهْرَمُ، ولا تتراجعُ عزيمتُه في معركتِهِ مَعَ الزمن، فيبقى سيّدًا عليهِ، ويبقى أقوى مِنْهُ على الدَوام.

لقد حَبَتِ الطبيعةُ الشعراءَ مقدرةً مميِّزةً جعلَتْهُم نورًا في أعماق العالم، مهما كانَتْ فيهِ الظروفُ تحمِلُ ظَلامًا، أوِ الأحداثُ تُمزِّقُ جَسَدَ الواقعَ، لأنّهم يَتَنَزّلون ضميرَ الأمّةِ في ضميرِهِم، ويَتَقَمّصون همومَ الناسِ والذواتِ في كِياناتهم، ووَحْدَهُم مَنْ يستطيعون أن ينقُلوا اهتزازاتِ ضميرِ أمّتِهِمْ، وهمومَها، وأحداثَها، بعدَ أن

تنغمسَ داخلَ أعماقهم، وتَصيرَ جزءًا منهم. لهذا السببِ فإنّ الشعراءَ محكومٌ عليهم بالمعاناةِ الدائمةِ، على شتّى المستوياتِ، بِفِعْلِ حساسيّتِهِم التي لا يملكُها سواهم، وبفعلِ قُدْرَتهم على نَقْلِ هذه المعاناةِ في الرؤى والصورِ التي لا تعود ملكًا لهم، بلْ للأمّةِ كلِّها.

كلُّ مُعلّقةٍ من معلّقاتي فيها لونٌ خاصٌّ، عَرَفْتُهُ في حياتي: مِنْ مُعاناةٍ للصراعِ والحبِّ والألم، ومِنْ حوارٍ مع أعماقِ ذاتي التي شَطَرْتُهَا ذاتَيْنِ، في بعضِ الأحيانِ، أو تَقَمَّصْتُ من خلالِ الحبِّ والعِشْقِ ذاتَ المعشوقِ، في ضَرْبٍ مِنَ التَحليقِ الذي يتحدّى طبيعةَ الفكرِ، وابتذالَ الواقعِ، وعرَضيّةَ الأحداث.

فالمعلّقةُ الأولى كانتِ استجماعًا لما ترك أثرًا في حياتي مِنْ أَعْراضِ الوقائِع، أَفْضَى بي إلى تحدّي الموتِ، بِتَعالٍ كَبيرٍ، مِنْ خلالِ الشِعْرِ. وكانَتْ هذهِ المعلَّقَةُ مفاجئةً لي، فَخِلْتُني أكتبُ قصيدةً قَصيرةً، مِنْ غيرِ أنْ أعرِفَ ما حَدَاني على كِتابَتِها، ولكنَّني أَخَذَتْني الحالَةُ، وبَقَيْتُ أيامًا ثلاثةً مُنْخَطِفًا أكتُبُ وأَرتاحُ، بلا تَوَقُّفٍ، حتّى أنجَزْتُها؛ ووَقَفْتُ أمامَها مَذهولاً حينَ قَرَأْتُها للمرّةِ الأولى كاملةً؛ وعَرَفْتُ أنَّ قوّةَ الشِعْرِ المنبثِقِ مِنْ أعْماقِ الذاتِ أقوى مِنْ أَنْ يَستوعِبَها فكرٌ يَعْقلُ، أو منطقٌ يحدُّ؛ وأدركْتُ أنّ الشِعْرَ، متَى التَهَبَتْ في الشاعرِ

شرارتُهُ، لا يستطيعُ أن يُخْمِدَها، بَلْ تَسيرُ به سَيرًا حَثيثًا إلى ضفافٍ تختارُها هيَ لتَتَوقَّفَ عندَها، وتهدأَ.

أمّا المعلّقةُ الثانية فقد فاجأتْني بدورِها، وأنا أمامَ ذاتٍ ثانيةٍ، هيَ جزءٌ مِنْ ذاتي، ضاعَتْ مِنّي سنينَ طويلةً، وانضَمَّتْ إلى ذاتٍ أُخرى، ثمّ اكتَشَفْتُها فَجْأَةً وقَدْ حاصَرَنا الثلجُ بِبَياضِهِ يَنْهَلُّ علينا، فانبَثَقَتْ منّي، وسارَتْ بي إلى فِرْدَوْسٍ مِنَ الحلم كُنْتُ قَدْ فَقَدْتُهُ أعوامًا طويلةً، أو رُبّما كُنْتُ أبحثُ عَنْهُ طَوالَ حَياتي، فتَجَلّى لي مِنْ زَوايا الكِيانِ، مُضيئًا، حاملاً في طَيّاتِه أروعَ ما في الحلمِ، وأَبْعَدَ ما في تَصاويرِ الخَيال. هكذا قرَأْتُ في المعلّقَةِ الثانيةِ ذاتي في ذاتٍ أخرى، وَاسْتَمْرَأْتُ كِياني في

آخرَ هو كيانٌ ثانٍ مِثْلَه. لهذا السببِ أَسْمَيْتُها "كتابَ الذاتَيْنِ".

وفي المعلَّقةِ الثالثةِ تَعَرَّفْتُ إلى الأَلَقِ في حالةِ عِشْقٍ أَعادَتْ إليَّ الفردوسَ المفقودَ، وَجدّدَتْ في قرارتي نورَ الله، فكانَ مَا أَسْمَيْتُهُ "الألقَ" مُنبثِقًا مِنَ الآخَرِ، فِيما هو يحاصرُ كِياني كُلَّه، وَمُنبثقًا، بدَورِهِ، من كِياني ليحملَه الآخرُ، ولا نهايةَ له. بهذا انبثقَ العالمُ مجدّدًا منْ هاتَينِ الذاتين، وحَمَلَ مَعالِمَ التَكوينِ الجديدِ، ومَعَالِمَ الإنسانِ الذي بَشَّرْتُ به في المعلّقة الأولى، "مُعلّقةِ ديزيره سقال"، وهوَ الذي يَكْسِرُ الموتَ والزمانَ المغيِّبَ بالشِعْرِ، ويخطُّ بنفسه القَضاءَ. ولكنّ الشِعْرَ صارَ الآنَ

يحمِلُ أيضًا مَعالِمَ العِشْقِ، فصارَ العِشْقُ شِعْرًا، فيما تخَطّى الشِعْرُ حُدودَ المعروف.

وفي المعلّقةِ الرابعةِ صارَ هذا العِشْقُ لَهَبًا يُعيدُ التكوينَ في عالَمي، ويَقضي على فُتاتِ النقصانِ الذي ينثرُه الزمنُ في سَيْرورتِهِ القَصيرة؛ ذلكَ لأنّ ذاتي التي عَشِقْتُ، والتي تجلّتْ هنا كائنًا ثانيًا مِنْ لحمٍ ودمٍ، خَرَجَتْ تَمامًا مِنْ غِيابِها، وانكَشَفَتْ في الزمانِ زمنًا أَبْعَدَ مِنْهُ، وأَكْثَرَ امتلاءً وَحَقيقةً. وكانَ هذا التلاقي الذي بَدَأَ في المعلّقَةِ الثانِيَةِ بِمَنْزِلَةِ الأُنشودةِ البِكْرِ التي لم تَتَلَفَّظْ بها شَفَةٌ، ولا سَمِعَتْهَا أُذُنٌ مِنْ قَبْلُ: أُنشودةِ الأناشيدِ، أوِ الأنشودةِ المستحيلةُ التي تَصِلُ إلى ما لا يَكونُ، وتَفْتَحُ

بَابَ الجُنونِ الخَلاّقِ على مِصراعَيْهِ. مِنْ هنا ينبثقُ اللهبُ الذي يُحرقُ فيهِ كلَّ شيءٍ معروفٍ، ليبدَأَ الوجودُ كالنارِ الأثيريّةِ، حينَ أصيرُ أنا والآخرُ المعشوقُ "واحِدَيْنِ" في الذاتِ، لا انْفِكاكَ لهما، ولا ازْدِواج.

ولَكِنّ كُلَّ هذهِ المعلّقاتِ تَدورُ في حَلَقَةٍ واحدةٍ، أساسيّةٍ، هيَ الشِعْرُ الذي يُحَوِّلُ حالاتِ الوجودِ إلى خَلْقٍ مُسْتمرٍّ، ويُضيءُ الكِيانَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَكتشفَ الشاعرُ، مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ، أنّهُ هُوَ الخالِدُ، والحقيقةُ الوحيدةُ الثابتَةُ بَيْنَ أَعْراضِ الكونِ وَزَوَائِلِه، وهي الفكرةُ التي كنتُ قد عَبَّرْتُ عنْها في المعلّقةِ الأولى.

وَلَيْسَتْ هذه المعلّقةُ الرابعةُ مُجرّدَ قصيدةٍ مِنْ بَيْنِ قَصائدَ أُخرى، بَلْ هِيَ ولادةُ حياةٍ جديدةٍ، تختلفُ عَنْ كُلِّ الحَيَواتِ، وَتَكوينٌ جديدٌ يَنْضافُ إلى التكوينِ العامّ. بَعْدَهَا لا يعودُ للأشياءِ الطعمُ نفسُه، كما لا يعودُ لها الطعمُ نفسُه مَعَ كلِّ نَصٍّ شِعْرِيٍّ جديد. وتجربةُ هذهِ المعلّقةُ خاصّةٌ جدًّا، لأنّها تَكْشِفُ عَنْ نارِ الشِعْرِ التي تَرْتَفِعُ بصاحبِها إلى كونٍ آخَرَ، هُوَ فِرْدَوْسٌ شِعْرِيٌّ ليسَ كَمِثْلِهِ فِرْدَوْسٌ، ولا يُمْكِنُ أَنْ يكونَ إلاّ مرّةً واحدةً، فلا يتكرّرُ مُطلَقًا، بعدَ أنْ تَمَّ تَكوينُهُ مِنْ داخلِ الذات.

القصيدةُ حَدَثٌ يَكونُ مَرّةً واحدةً؛ وكُلُّ ما يأتي بَعدَها ليسَ إيّاها، ولا هو مُتَحَرِّكًا حولَ مَرْكَزِها،

فالقصيدةُ لا مركزَ لها، لأنّها تتحرّكُ بشكلٍ حَلزونيٍّ، لا دائريٍّ، باتّجاهِ الأعلى، وتَبْني حولَها، فيما هي تتحرّك صُعُدًا، آفاقًا لا عَهْدَ للمرءِ بها مِنْ قَبْلُ، ولَنْ يكونَ له عَهْدٌ بها، مِنْ بَعْدُ، أيضًا؛ فالنصُّ لا يتكرّرُ، وكاتِبُ هذا النصِّ، بدَوْرِهِ، لا يتكرَّرُ شَخْصُهُ، لأنّه لا يكونُ عَيْنَهُ حِينَ يُعاودُ الكتابةَ. والشاعرُ لا يكرّرُ نفسَهُ أبَدًا، مَهْمَا تشابَهَتْ كِتاباتُه، لأنّ لِكلّ كتابةٍ منها وَضْعَهَا المختلفَ، وحالَتَها المميَّزَة؛ وكلُّ نصٍّ يُعَبِّرُ عَنْ جزءٍ مِنَ الحياةِ الشخصيّةِ، هُوَ جزءٌ مُنْفَتِحٌ على التحوُّلِ والأسئلةِ، يُكَمِّلُهُ جزءٌ آخَرُ يأتي في مرحلةٍ لاحقةٍ. لهذا يمثّلُ كلُّ جزءٍ وحدَةً كاملةً، مُسْتَقِلةً نظريًّا، ولكنّها

ناقِصَةٌ في جوهَرِها، لأنّ الآتيَ هو الذي يُضيفُ إليها، ويُوَسّعُها، ولكنّهُ لا يحدُّها. مِنْ هُنا فالنصُّ الأَرْوَعُ، عِنْدَ الشاعرِ، أيِّ شاعرٍ أصيلٍ، هو النصُّ الذي لم يكْتُبْهُ، أو لم يَتَمَكَّنْ مِنْ كِتَابَتِه.

في كلّ قصيدةٍ يُعيدُ الشاعرُ بناءَ ذاتِهِ، ويُعيدُ كِتابَتَها مرّةً أُخرى، بشكلٍ مُغايرٍ، مختلفٍ عَمّا سبق، فيخلُقُها مُجَدَّدًا. ولِهذا السبَبِ، يبدَأُ بالقصيدةِ هذه الذاتَ كأنّه لمّا يتعرّفْ إليها. ولكنْ هَلْ يُمْكِنُ أنْ يَعْرِفَ الشاعرُ ذاتَهُ في يومٍ مِنَ الأيّام؟ لا أظنُّ هذا. فذاتُهُ في حالِ انكشافٍ مستمرٍّ، ولذا فهيَ في حالِ انْبِناءٍ مُستمرٍّ، إلى ما لا نهاية. إنّه يتركُ في قصيدتِهِ ظلاًّ

لذاتِهِ على القارئ أنْ يُكْمِلَهُ، وَيُضيفَ إليهِ ما لم يَقُلْهُ هوَ. وغيرُ هذا ليسَ بِشِعْرٍ. النصُّ المبنيُّ على الكلماتِ ليسَ هوَ النصَّ كلَّهُ، بل ظلٌّ له، لأنّ جوهرَه هو الأثَرُ الذي يفتَحُهُ في الذاتِ الأخرى، والأسئلةُ التي يفتَحُها فيها. الشِعْرُ يُثيرُ الأسئلةَ، ولكنّهُ لا يقدّمُ إجاباتٍ، ويحثُّكَ على التأمّلِ والشعورِ والتفاعلِ، ولكنّه لا يقدّمُ لكَ أحاسيسَ ناجزةً، ولا هدوءًا يُريحُ. إنّه كَلِسانِ اللهَبِ يُحرّكُكَ فيما هو يَلْسَعُكَ، ويَتْرُكُ أثَرَهُ على جِلْدِ كِيَانِكَ، ولكنّهُ أثرٌ بلا شكلٍ مُسْبَقٍ، يُعطيهِ كيانُكَ الشكلَ الذي يرتاحُ إليه. الشِعْرُ يُحَرِّضُ، ويُخَرِّبُ ما ارتاحَ فيكَ مِنْ يَقينٍ، ويُزَعْزِعُهُ، ويَضَعُكَ وجهًا لوجهٍ

أمامَ اللامألوفِ. وكلّما ظَنَنْتَ أنّكَ أَمْسَكْتَ مَعَهُ بزِمامِ الأمور، عُدْتَ لِتَكْتَشِفَ أنّ ما أَمْسَكْتَ به ليس إلاّ سرابًا ووهمًا، وأنّ عليكَ أَنْ تُعيدَ الكَرَّةَ لِتُمْسِكَ بزمامٍ آخرَ، لا يلبَثُ أنْ تَنْكَشِفَ لكَ سَرَابِيَّتُهُ، ويَسيلَ مِنْ بينِ أصابِعِكَ كالزئبقِ، إلى ما لا نهايةٍ...

هذا هوَ الألَقُ الذي أتحدّثُ عَنْهُ في الشِعْرِ، وهو ليسَ ألَقًا عاديًّا، بل ألَقٌ لانهائيٌّ مِنَ الانكشافِ المستمرِّ، سواءٌ أكانَ في إطارِ الفكرِ، أوِ الحبِّ، أوِ العِشْقِ... إنّهُ ألَقُ البحثِ الدائمِ، والانكشافِ الدائمِ، حيثُ ترى الأشياءَ كُلَّ مَرّةٍ في مَظْهَرٍ مختلفٍ، فَتَعِي أنّكَ تُدْرِكُها للمَرّةِ الأولى، وأنّ ما أدركْتَ مِنْ قَبْلُ ليسَ

أكثرَ مِنْ وَهْمٍ مُخادع. حتّى الحبُّ، تَظُنُّ أنّكَ عَرَفْتَهُ، فَتَكْتَشِفُ أنّ ما عَرَفْتَهُ مِنْهُ ليس إلا قِشْرَةً بسيطةً أو ظلاً بسيطًا لما هو أكثرُ بكثير، ولا تَلْبَثُ أنْ تُدْرِكَ أنّه حَلَقَةٌ لا تنتهي مِنَ التَحوّلاتِ والامتداداتِ، لا يملُكُ أحدٌ أَنْ يَقبضَ على زِمَامِها. هذا هُوَ العِشْقُ الذي أَعرضُهُ في المعلّقة؛ فهوَ حالٌ لا تنتهي مِنَ التجلّي، ولَهَبٌ غَريبٌ يُومِضُ إيماضًا، ولا يَلْبَثُ أَنْ يَتَحَوَّلَ إلى أنشودةٍ غَريبةٍ، تَنبثقُ مِنْ داخلٍ، لتحملَكَ إلى كلِّ ما هو في الخارجِ، وتُذيبُهُ فيكَ في أنشودةٍ لا تنتهي مِنَ الانكشافاتِ. إنّه حالةٌ لا تهدأُ مِنَ التحوّلاتِ

المتجدِّدَةِ، لا يمكنُ أَنْ يُقبضَ عليها، ولا أَنْ يُعرَفَ أوّلُها أو آخرُها. وهي حالٌ مرتبطةٌ بالألقِ كلَّ الارتباط.

وَمِثْلُ هذا الشعرُ: فبِدايَتُهُ مُفاجِئةٌ، ونهايَتُهُ أيضًا. هذَا في النصِّ. أمّا في الذاتِ، فَهُوَ يَبْدَأُ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ، وَيَسْتَمِرُّ حينَ يَنْتَهِي، ولا نَعْرِفُ أنّهُ يَسْتَمِرُّ، كَمَا لا نعرفُ أنّه بَدَأَ ولماذا. وَهُوَ يَكْمنُ داخلَنا، ولا نهاية لامتداده، ثُمَّ لا يَلبثُ أَنْ يَسْتَيقِظَ فجأةً، وَيَقُودنا إلى أَصْقَاعٍ جديدةٍ، تَبْقَى جديدةً، ولا تَشِيخُ البتّةَ.

أخيرًا، ليسَتِ القصيدةُ نصًّا مِنْ حُرُوفٍ، بَلْ هِيَ، بالنسبةِ إلى الشاعِرِ، وقارئِ الخُطابِ، كائنٌ حيٌّ يَنمو ويحيا. إلا أنّها لا تُشْبِهُ الكائناتِ الأخرى الحيّةَ،

لأنّها لا تَتوقّفُ عَنِ النُمُوِّ، ولا تهدأُ في حَجْمٍ، ولا تَتَعَيَّنُ بزمان. إنّها قَضيّةٌ حَيّةٌ، تَغْنَى بكياناتِ الآخرينَ، وتَجهلُ مَعنى الحدودِ؛ كُلَّما غُصْتَ عَلَيْهَا أَكْثَرَ تَكَشَّفَتْ لكَ دُرَرُها وَأَسْرارُها وَعَوالِمُها، واتّسعَتْ لكَ مَدارِكُهَا، وَشَادَتْ لَكَ في عالَمِكَ صُروحًا مِنْ أثيرٍ، حُدُودُها لَهَبُ الخَلْقِ، وَمُسَيِّرُها الجُنونُ المبتَكِرُ، وَمَداها اللانهايةُ.

ديزيره سقال

- ١ -

خَارِجًا مِنْ حُطامِ الزَمانِ
إِلَى الأَلَقِ المسْتَحيلْ.
خَارِجًا مِنْ دُخَاني إِلَيْكِ
لأَبْدَأَنِي،
وَمَكَانِي امْتِدادُ المدَى
وَالذُهولُ الطَويلْ...
أَيُّ صَبْرٍ بِلَوْنِ الكِيَانِ
يُعَتِّقُنِي كَالنَبيذِ
لِتَشْرَبَني شَفَتاكِ
كَإِكْسيرِ فِردَوْسِيَ المسْتَعَادِ؟

أَعودُ إِلَيْكِ
وَمَا خَرَجَتْ مِنْكِ ذَاتي،
وَمَا عَرَفَتْ مُقْلَتَايَ سِوَاكِ...
وَبَيْنِي وَبَيْني
مَدَاكِ الذي كَوَّنَ الكَوْنَ ثَانِيَةً
وَصَفاءُ ابْتِسامَتِكِ اللازَوَرْدِيَّةِ.
أَنْكَسَرَ الوَقْتُ حينَ مَرَرْتِ
وَصارَ الزَمَانُ هَبَاءً
وَعُمري شَرَاراتِ ضَوْءٍ
مِنَ الأَلَقِ المتَفَتِّحِ فيكِ —
وَأَنْتِ الذي يَفْتَحُ الأَلَقَ المتَبَسِّمَ

في رِحلةِ الوَعْدِ.
أَنْتِ المَآلُ إِذَا خَرَجَتْ
نَحْوَ أَرْضِ الغرَابَةِ ذَاتي،
وَأَنْتِ العُلَى
إِنْ سَمَوْتُ إِلَى فَوْقُ،
أَنْتِ البِشارَةُ
وَهْيَ تَهُلُّ علَى الأَنْبياءِ
كَضوْءٍ تَأَلَّقَ عَبْرَ الرَمادْ،
وَأَنْتِ خُروجُ الزَمانِ
إِلى المطْلَقِ المتَفَتِّحِ عَبْرَ المدى،
أنتِ فِرْدَوْسِيَ المستَعادْ!

- ٢ -

عائِدًا مِنْ ضَجِيجِ الأَمانِي
إِلَى حُلْمِكِ البِكْرِ
أَتْرُكُ ذَاتِي
وَأَنْسَلُّ فِيكِ
كَصَوْتٍ رَقِيقٍ
وَرِعْشَةُ زَهْوٍ تَلُفُّ حَياتِي...
تَجِيئِينَ
مِنْ قِمَّةِ الضَوْءِ
حَيْثُ المدى ذائِبٌ في الضَبابْ
وَيَنْكَسِرُ القَدَرُ المتَعَجْرِفُ...

تَرْسُو الأَمَاني
عَلَى وَهْجِ عَيْنَيْكِ.
كُلُّ القَضَاءِ تَجَمَّعَ فِي لَفْظَةٍ
لِيَكونَ الوُجُودُ جَديدًا
تَكَوَّرَ مِنْ لَهَبٍ... لا تُرَابْ!
مَنْ أَنَا؟
كُنتْ أَسْأَلُنِي في ذُهُولِ الغِيَابِ
وَلَكِنَّني لا أُجيبُ...
أَنَا...
مَنْ تُرَاني أَكونُ؟
أَنا...

عَرَضٌ جَوْهَرَتْهُ الظُنونُ...

أَنا شاعِرٌ

جالسٌ فَوْقَ لَوْنِ الحُروفِ

وَقَدْ ضَاقَ بالحَرْفِ

إِذْ لَمْ تَسَعْهُ حُروفٌ

فَكَوَّنَ مِنْ ذاتِهِ

لُغَةً كالسَرابْ

وَقامَ إِلَيْكِ...

شَفِيفًا كَما الروحِ

يَعْجُنُ مِنْ ذَاتِهِ كَوْنَهُ

وَيُغَمِّسُ رِيشَتَهُ بابْتِسَامَتِكِ البِكْرِ

كَيْ يَصْنَعَ الحَرْفَ مِنْكِ

وَيَأْوِي إِلَى نُورِ عَيْنَيْكِ

يَنْهَلُ مِنْهُ المعَاني

وَيَتْرُكُ قِشْرَتَهُ

فِي غُبارِ الزَمَانِ،

وَيَرْحَلُ فِي أُفْقِه

أَبَدِيَّ الشَبابْ...!

***

مَنْ أَنا؟

يَنزِلُ الخَلْقُ مِنْ سِمْتِهِ

وَيُجَالِسُني كَصَديقٍ أَليفْ
يَنزِلُ الموْتُ مِنْ بُرْجِهِ
وَيُصادِقُني
في هُدُوءٍ شَفيفْ...
يخرُجُ الوقْتُ مِنّي، ويَسْأَلُني:
"أَيْنَ أَنْتَ؟"
ولَكِنَّني لا أُجِيبُ...
ضِيائي عَميقٌ
وَعَيْناكِ صَارِيَتي
فِي الضَبابِ الكَثيفْ...
لَيْسَ هذا الزَمانُ

سِوى قِشْرةٍ،
وَالمكانُ بَقَايَا الضَبَابِ الذي لَفَّنَا
في الغِيَابِ...
أَنا... مَنْ أَنا؟
يَعزِلُ الوَقْتُ ذَاتِيَ أُنشودةً لا تَموتُ،
يُسَاكِنُنِي الأَبَدُ المتَحَرِّكُ دَاخِلَ حَرْفِي
فَأَخْرُجُ مِنْكِ... إِلَيْكِ...
وَأَحْمِلُ دُنْيَايَ فِيكِ،
وَأَسْأَلُنِي: "مَنْ أَنَا؟"
أَقْرَأُ الذَاتَ حَرْفًا فَحَرْفًا —
وَأَحْرُفُ ذاتِي تَظَلُّ جَديدَهْ،

وَتبقى سَمَاها سَماءً بَعيدَهْ،
وَأَبْقَى بعَيْنَيْكِ رَهْجًا لَطيفْ
وَوَحْيًا وَحيدًا يَصُوغُ القَصِيدَهْ
وَخَلْقًا تَسامَى
كَسِمْتٍ مُنِيفْ...

***

مَنْ أَكونُ، إِذًا،
وَكِيانِي صَنِيعُكِ فِي الخَاطِرِ البِكْرِ؟
مَاذَا أُجِيبُ
وَفِي جَسَدِي كَائنٌ مِنْ ضِيَاءْ؟

أَتَنَاسَلُ فِيَّ وَفِيكِ
وَحوْلِي عَنَاوِينُنا
وَذُهُولُ الزَمَانِ الذي غَابَ...
أَخْرُجُ مِنّي إِلَيْكِ
وَأَنْثُرُنا في امْتِدَادِ السَمَاءْ.
لَيْسَ فِينا سِوانا،
فَيَا كَوْنُ غِبْ،
وَانْتَحِرْ، يا زَمَانُ،
وشُدَّ الأَمَاني إِلَى قلْبِنا المتَفَتِّحِ:
كُلُّ المدَى غَائِبٌ،
وَالكَلامُ انْفِلاتُ هَبَاءْ...

كُلُّ شَيْءٍ يَغِيبُ... سِوَانا
وَأَحْلامُنا لُغَةٌ سَامِيَهْ.
كُلُّ شَيْءٍ يَغِيبُ... ونَبْقَى
وَنَقْرَأُ فِي ذَاتِنَا اللغَةَ الثَانِيَهْ:
خَالِقَانِ
تَلاقَتْ بِنارَيْهِما
كُلُّ أَزْمِنَةِ الخَلْقِ
وَانسَكَبَتْ فِي حُروفِ القَصيدَةِ بِكْرًا
تَشَهَّتْ لأَوَّلِ مَرَّهْ
وَطَارَتْ إلى الملَكوتِ
مِنَ الأَسْرِ حُرَّهْ...

هوَ الخَلْقُ يَبْدَأُ مِنّا
كَطِفْلٍ تَراكَضَ بَيْنَ الفَواصِلِ والمسْتَحيلِ
بِمُفْرَدِهِ،
يَلْبُسُ الحِبْرَ،
تَسْري القَصيدَةُ فِيهِ دِماءْ...
هُو الخَلْقُ يَبْدَأُ مِنّا
وَمِنْ شَفَتَيْنا يَهُلُّ السَناءْ.

- ٣ -

لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذاتِي وجِلْدِي
سِوَى عالَمٍ مِنْ أَثِيرٍ
وَصَمْتٍ مُضِيءٍ
تسَلَّلَ فِي جَنَبَاتِ الكَلامْ...
لَمْ يَكُنْ بَيْنَ ذَاتِي وَعَيْنَيْكِ...
غَيْري،
وَكُلُّ اليَنابِيعِ تَدْفقُ
مِنْ شَعْرِكِ المتَدَلّي،
وكُلُّ النجومِ تَمُرُّ بِروحِكِ وَالِهَةً
كَي تَنامْ.

يَجْلِسُ الزَمَنُ المتَكَوِّمُ فِي صَرْحِهِ
هَرِمًا،
وَيُحَدِّقُ بِالصُبْحِ:
لَمْ يَسْتَظِلَّ صَباحٌ بِهِ —
لا صَبَاحَ يَمُرُّ،
وَلا زَمَنٌ...
لا مَسَاءَ...
وكُلُّ الزَمانِ نَسِيمٌ
تَضَوَّعَ مِنْ وَجْنَتَيْكِ.
تَجِيءُ اللُغاتُ
وتَأْوِي إِلَى زَهْوِ عَيْنَيْكِ —

عَيناكِ هَذِي القَصِيدَةُ
تَسْكُبُ فِيَّ المُنَى...
كَالمدامْ...
وعَيْناكِ لَوْنُ البِشَارَةِ
وَهْيَ تَهُلُّ عَلَى الأَنْبِياءِ
وَلَحْنُ الملائِكِ
يَفْتَحُ حُلْمَ العُلى للأَنامْ...
فَلَكٌ مِنْ حُرُوفِ الغِيَابِ أَمَامي،
وَكُلُّ دَمِي فِي عُرُوقِكِ يَسْرِي،
وَكُلُّ دِمَاكِ أَثِيرٌ... أَثِيرْ...
ومَعًا نَحْنُ

يَنْهلُ مِنّا الوُجُودُ تَقَاسِيمَهُ
وَيُصَوِّرُنا الأَلَقُ المتَجَدِّدُ فِي أَرْضِهِ
نَسَمًا وَأَرِيجًا وَثِيرْ...
وَمَعًا نَحْنُ نَسْكُبُ فِي الشِعْرِ
أُنْشُودَةَ الخَلْقِ،
نَجْبُلُ فِينَا البِدَايَاتِ
والمُنْتَهَى
وَالمصِيرْ...

- ٤ -

مَنْ أَكُونُ وَقَدْ غِبْتُ فِيكِ؟

وَمَاذا يُساوِي الزَمَانُ...

جَمِيعُ الزَمَانِ...

إِذَا كَانَ خارِجَ عَيْنَيْكِ.

مَاذا يُساوي المكانْ؟

وَمَاذا إِذا انْتَحَرَتْ قُوَّةُ الفِعْلِ

فِي الحُلْمِ،

وَانْسَكَبَ الحُلْمُ فِي مَلَكُوتِ الكِيَانْ؟

مَنْ أَكُونُ وَقَدْ غِبْتُ فِيكِ؟

أَهَمْسَةَ شِعْرٍ

تُلَخِّصُ كُلَّ التَواريخِ،

أَقوَى مِنَ الموتِ،

أَكْبَرُ مِنْ جَبَرُوتِ الزَمَانْ؟

أَوَحْيًا تَجَنَّحَ بِالنارِ

فَانشَقَّ فِيهِ الوُجودُ وُجودَيْنِ:

نَحْنُ... وَنَحْنُ...!

فلا شَيْءَ خارِجَنا...

لا حَيَاةَ ولا مَوْتَ،

لا مُسْتَحِيلَ ولا مُمْكِنٌ...

نَحْنُ كُلُّ التَصَوُّرِ

إِذْ يَتَكَوَّنُ فِي الخاطِرِ البِكْرِ،

لَيْسَ يَحُدُّ مَدانَا مَدًى،

لا يُحيطُ بِنا خَطَرٌ... أَوْ أَمَانْ....

نَحْنُ هَذا المَلاءُ الذي يَجْعَلُ الذاتَ ذَاتًا
وَيَجْعَلُنَا في ارْتِقَاءِ الأُلُوهَةِ
نُورَيْنِ...
مِنْ لَهَبٍ يَتَلَظّى
فَلَيْسَ تُقَسِّمُهُ قُدْرَةٌ.
نَحْنُ نسْغُ الحَيَاةِ
يُطَهِّرُ رُوحَ الوُجُودِ،
وَيَسْكُبُ طَعْمَ الخُلُودِ،
وَيَحْتَرِفُ العِشْقَ فِي كُلِّ آنْ!

- ٥ -

هَكَذا انْكَسَرَ الموْتُ بِالعِشْقِ
وَانْهَزَمَ الواقِعُ المتَفَتِّحُ فِي تَيْهِهِ،
وَاعْتَلَى الشِعْرُ عَرْشَ الأَلَقْ...
هَكَذا شَرَّعَ النُورُ رايَاتِهِ،
وَانبَثَقْ.
هَكَذا نَحْنُ...
رَائِحَةٌ مِنْ أَرِيجِ الضِياءِ
تَمُرُّ عَلى الكُلِّ مُفْرَدَةً،
وَتُعِيدُ الذُهُولَ إِلَى الخَلْقِ
فَالخَلْقُ حُلْمٌ

وَصَانِعُهُ تَوْأَمَانِ بِذاتٍ

تَوَحَّدَ فِيهَا الكِيَانُ

لِيَكْتَمِلَ الخَلْقُ فِي مَا خَلَقْ.

هَكَذا نَحْنُ...

أُنْشودَةٌ فِي ضَمِيرِ الوُجودِ

تَقُدُّ الزَمَانَ انْبِثَاقَيْنِ

يَرْتَفِعَانِ إِلى المَلَكُوتِ

كَمِثْلِ الضَبَابِ الذي يَتَعَالَى

مِنَ الرَحِمِ.

أَنْبَثَقَ الوَجْدُ

مِنْ أَلَقِ المستَحيلِ الذي صَارَ

حُلْمًا عَلَى وَاقِعِ الأَرْضِ.

صِرْتِ ارْتِقَاءَ الوُجُودِ إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى

وَانتَهَى الوَقْتُ فِيكِ...

أَنْتَهَى الكَوْنُ فِيكِ...

أَنْتَهَى الخَلْقُ فِيكِ

وَغَابَتْ جَمِيعُ النِسَاءِ...

عَلَى وَجْنَتَيْكِ.

تَسَوَّرْتُ بِالحُلْمِ،

سَلَّمْتُ نَفْسِي إِلى أُفْقِ مِعْرَاجِهِ:

كُلَّمَا ابْتَعَدَتْ عَنْكِ ذَاتي

رَأَيْتُكِ أَوْغَلَ فِيَّ

وَأَعْمَقَ فِي قَلْبِيَ المتَفَتِّحِ.
لا شَيْءَ يَفْصُلُنا،
لا شَيْءَ بَيْنِي وَبَيْنَكِ
غَيْرُ الضِيَاءْ،
وَغَيْرُ انْكِسارِ المسَافَاتِ
فِي لَيْلَكِ الفَرَحِ المتَرَامي...
وَحِينَ يَفوحُ أَريجُ البَهَاءْ
يَسْتَحِيلُ السُكُونُ غِناءً عَميقًا
وَزَنْبَقَةً
مِنْ بَياضِ الثُلوجِ التي وَشَّحَتْنا
فَحَلَّ بِنَا مَلَكُوتُ الحُضُورِ

وَغَابَتْ جَمِيعُ الأَحَاسيسِ
حِينَ انْخَطَفْنَا،
فلا حِسَّ يَخدِشُ هَذَا الصَفَاءْ؛
وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الوُجُودَ حُضُورٌ بِعَيْنَيْكِ،
أَنَّ الزَمَانَ... جَمِيعَ الزَمانِ...
انْخِطَافٌ إِلَيْكِ،
وَأَنَّكِ أَنْتِ... جَمِيعُ النِساءْ!

- ٦ -

يَنْزِلُ الصُبْحُ مِنْ أُفْقِهِ المُتَعَالي
وَيَحْضِنُني

مِثْلَ طِفْلٍ صَغيرْ...

وَيُواري جَبينِي بِبَسْمَتِهِ

حِينَ يَلْفَحُهُ نُورُكِ المتَفَتِّحُ

بَيْنَ دُرُوبِ العَبيرْ.

يَنْزِلُ الصُبْحُ مِنْكِ إِلَيَّ

وَلا صُبْحَ فِي الكَوْنِ

غَيْرُ الْتِقاءَاتِنا وَانْخِطافَاتِنا

فِي مَعاريجِ خَلْقٍ

يُؤَسِّسُ لِلمُسْتَحيلِ.

تَوَارَيْتُ فِيكِ...

تَوارَيْتُ عَنِّيَ فِيَّ

وَآخَيْتُ هَذا الغِيَابَ الكَبيرْ

وَتَوَزَّعَنا المسْتَحِيلُ رَذاذًا لَطيفًا

وَلَحْنًا يُخَالِفُ كُلَّ الأَغَاني

وَأُنْشودَةً لَمْ تَقُلْهَا الحَناجِرُ

تَنْسَابُ عَبْرَ شُقُوقِ الثَوَاني...

تَوَزَّعَنا المستَحيلُ

صَبَاحًا يَجِيءُ مِنَ المنتَهَى البِكْرِ

أَجْمَلَ مِنْ لُغَةِ الأَرْضِ،

أَكْثَفَ مِنْ وَارِفِ الحُلْمِ خَلْفَ الأَثِيرْ،

وَمَعًا نَتَكاثَرُ عَبْرَ الحَضَارَاتِ،

نَخْتَرِقُ الممْكِنَ المُتَرَهِّلَ،

نَخْتَرِقُ الوَقْتَ
نَحْوَ الذي لا يَكونُ
وَنَنْبُتُ فِي المَلَكُوتِ
حُضورًا جَديدًا
يُحاصِرُ آفَاقَهُ أَلَقٌ وَفُتُونُ –
سَتَصِيرُ الحُروفُ سُكُونًا
وَتَغْدو الأَنَاشيدُ صَمْتًا رَقيقًا
وَنَكْتُبُ بِالعِشْقِ أُفْقَ القَصِيدَةِ
حَتّى يُسَوِّرَ عَالَمَنا الثَّرَّ
هَذا الجُنونُ.

- ٧ -

رَاحلاً فِي لُهَاثِ الحُبُورِ
إِلَى الحُلُمِ البِكْرِ
أَقْرَأُ هَذَا الوُجُودَ مِنَ السِمْتِ
حَرْفًا فَحَرْفًا،
وَأَكْتُبُ بِالشِعْرِ ذَاتِي وَذَاتَكِ
أَغْزِلُ مِنْ وَحْيِهِ وِجْهَتِي،
ثُمَّ أَنْظِمُ عِقْدَ القَصِيدَةِ مِثْلَ الضَبَابْ
وَأَقْرَأُ نَصَّ السَمَاوَاتِ فِي لُغَتِي...
رَاحِلاً فِي لُهَاثِ الحُبُورِ
إِلَى حُلْمِكِ البِكْرِ

أَكْتَشِفُ العُمْقَ،

حَتّى كَأَنَّ السَحَابْ

يُوشِّحُ جِسْمَكِ بِالرِقَّةِ المسْتَحِيلَةِ.

كُنْتُ أُراقِبُني فِيكِ

حِينَ يَصِيرُ الغِيَابْ

أَشَدَّ امتِلاءً مِنَ الواقِعِ المُتَهَدِّجِ.

كُنْتُ أَرَاكِ أَثِيرًا

عَلَى سِدْرَةِ الكَوْنِ

يَكْتُبُني وَيُكَلِّمُنِي...

لا حِجَابْ:

وَاحِدَيْنِ، إذًا، نَحْنُ

في مهْرَجَانِ الكِتَابَةِ بِالعِشْقِ

نَغْرَقُ فِينَا...

وَنَنْظُرُ نَحْوَ الخَلِيقَةِ فِي لَحْظَةِ الكَشْفِ.

هَذَا هُوَ الأَلَقُ المتَفَتِّحُ

دُونَ المسافَاتِ،

دُونَ الأَبَدْ!

كُلُّ شَيْءٍ سِوَانَا بَدَدْ...

كُلُّ شَيْءٍ يَحلُّ بِنا وَاحِدَيْنِ —

تَغِيبُ الحُدُودُ،

يَغِيبُ التَعَدُّدُ،

يَفْنَى العَدَدْ...

كُلُّ شَيْءٍ سِوانَا بَدَدْ

وَضَمِيرُ المدى ذاهِلٌ

فِي غِيَابِ المسَافَةِ بِالعِشْقِ.

لا شَيْءَ غَيرُ التَوَحُّدِ.

كُلُّ الوُجُودِ يَحلُّ بِنَا وَاحِدَيْنِ أَحَدْ.

يَتَلاشَى الزَمَنُ المتَصَاعِدُ مِنْ قَلْبِ الكَوْنِ

وَيَنْكَسِرُ التارِيخُ

أَمامَ غِيَابِ الواحِدِ فِي الواحِدِ.

لا شَيءَ...

سِوَى الأَلَقِ المفتُوحِ عَلى بابِ المطْلَقِ.

لا شَيءَ سِوانا

نرقُصُ فِي لهَبِ التَكْوِينِ

وَيَحْمِلُنا اللهَبُ.

لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبُ...

وَجْهُ اللهِ يُحِيطُ بِنَا

وَغِنَاءُ المطلَقِ يَقْتَرِبُ.

لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبُ...

أَلعِشْقُ يُشَفِّفُ ذَاتَيْنَا،

وَالوَجْدُ يُغَيِّبُ جِسْمَيْنَا،

وَالفَرَحُ الصاهِلُ فِي قَلْبَيْنَا

أَبَدٌ يَنْسَابُ ويَصْطَخِبُ.

لا شَيْءَ سِوَى وَجْهَيْنَا

فِي أَبَدِيَّةِ هَذَا العِشْقِ الأَبْيَضِ.

فِرْدَوْسٌ مِنْ رَائِحَةِ الحُلْمِ

وَيَنْبُوعُ شَبابٍ يَدْفُقُ مِنْ جَسَدَيْنَا

وَكِلانَا أَرَجٌ

فِي أَعْلَى الضَوْءِ المُنْهَلِّ مِنَ السِمْتِ.

كِلَانَا عَبَقٌ مِنْ لَوْنِ الرُوحِ

يَئِنُّ عَلَى أُفُقِ الجَنَّةِ.

لا شَيْءَ سِوَانا

وَخُطَانا

كُلُّ هَزِيجِ الفِرْدَوْسِ خُطَانَا

وَالحُلُمُ الأَبْيَضُ يَنْسَكِبُ.

طُرُقٌ تَتَنَاسَلُ فِينَا،

أَبَدٌ يَصْهَلُ فِيهِ العَصَبُ،

وَالخَلْقُ القادِمُ مِنْ جِهَةِ الشِعْرِ

يُجَدِّدُ مَلْحَمَةَ التَكْوِينِ

وَيَلْتَهِبُ.

لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبُ...

***

عَيْنَاكِ قَصيدَةُ وَرْدٍ أَحْمَرْ

حَاصَرَهَا الثَّلْجُ لِيَحْمِيَها،
وَفُؤَادِي مِنْ وَلَهٍ أَشْقَرْ
يَتَنَاثَرُ فِيكِ هَبَاءً أَخْضَرْ،
مَطَرًا مِنْ نُورٍ وَبَهَاءْ
وَحُقولاً مِنْ لَوْنِ الماءْ
وَأَناشِيدَ حُبُورٍ وَضِيَاءْ
وَأَنا فِيكِ رِتَاجٌ لِلآتي
يَدْخُلُ مِنْهُ الآتُونَ إِلَى السِدْرَةِ،
صَوْتٌ مِنْ عَنْبَرْ...

عَيْناكِ قَصيدَةُ وَرْدٍ أَحْمَرْ
وَأَنا مَعَكِ الشَغَبُ
نَتَحَرَّكُ فِي الأَرْضِ كإَعْصارٍ نُورانِيٍّ
وَنُهَشِّمُ بَرْدَ الموتِ
وَنَلْتَهِبُ...
لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبُ...

نَتَكاثَرُ دَونَ زَمانٍ...
وَمَعًا نَتَوَسَّعُ فِي الحُلْمِ —
يَصيرُ الحُلْمُ بُيوتًا

وَسَماءً مِنْ أَرْواحٍ نُورَانِيَّهْ،
وَيَصِيرُ لِباسًا لِلْعِشْقِ المَفْتُوحِ
عَلى آفاقِ الدُنْيَا
يَخْرُجُ مِنْ جِهَةِ السِمْتِ
إِلَى الفِرْدَوْسِ المَفْتُوحِ عَلَى قَلْبَيْنا...
أَبْيَضَ كالثَلْجِ المنثُورِ بِكائِنَا –
ثَلْجٌ مُلْتَهِبٌ خَلْفَ مسَاحاتِ الحِسِّ
وَخَلْفَ الأَرْضِ المَنْسِيَّهْ...
وَمَعًا نَتَوَزَّعُ دَوْرَ الخَلْقِ
وَنَكْتُبُ مَلْحَمَةَ التَكْوِينِ
وَنَنْسَكِبُ

شَلاّلاً مِنْ نُورٍ
يُحْيِي مَا يُيْبِسُهُ السَغَبُ،
وَمَعًا نَتَوَحَّدُ فِي كَائِننا
بَرْقًا وَشَرَاراتٍ شِعْرِيَّهْ
يَحْمِلُنا العِشْقُ إِلَى أَقْصَى الفِرْدَوْسِ
فلا مَحْظُورَ...
ولا مَحْدُودَ...
ولكِنْ رَقْصٌ لِهَزِيجِ المطْلَقِ
فِي عُرْسِ البَوْحِ المفتُوحِ،
ورَقْصٌ لِضَمِيرِ الشِعْرِ
عَلَى أَرْضِ النُورِ البِكْرِ

وَفِي الأَعْمَاقِ المَخْفِيَّهْ...

لا مَحْظُورَ...

وَلا مَسْمُوحَ...

وَكُلُّ ثِمَارِ الجَنَّةِ فِينا

بَوْحٌ أَبَدِيٌّ

وَتَواصُلُنَا لُغَةٌ مِنْ نَارٍ تَلْتَهِبُ.

لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبٌ... لَهَبُ...

***

أَلَقٌ يَتَفَتَّحُ فِي العِشْقِ

عَلَى إِيقَاعِ الكَوْنِ الناهِضِ مِنّا

وَالتاريخُ ذُهُولٌ

وَقَصَائِدُ زَهْرِيَّهْ –

هُوَذَا العِشْقُ يَرُدُّ الكَوْنَ فُتُونًا،

حُلُمًا يَتَحَرَّرُ

فِي الآفاقِ النُورانِيَّهْ.

(١٩/ ٦ – ٦/ ٧/ ٢٠١٢)

الطبعة الأولى
٢٠١٢

يَستْحِيلُ السُكُونُ غِناءً عَميقًا

وَزَنْبَقَةً

مِنْ بَياضِ الثُلوجِ التي وَشَّحَتْنا

فَحَلَّ بِنَا مَلَكُوتُ الحُضُورِ

وَغَابَتْ جَمِيعُ الأَحَاسيسِ

حِينَ انْخَطَفْنَا،

فلا حِسَّ يَخدِشُ هَذَا الصَفَاءْ؛

وَأَيْقَنْتُ أَنَّ الوُجُودَ حُضُورٌ بِعَيْنَيْكِ،

أَنَّ الزَمَانَ... جَميعَ الزَمانِ...

أَنْخِطَافٌ إِلَيْكِ،

وَأَنَّكِ أَنْتِ... جَميعُ النِساءْ!